تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

فرنسا تعود إلى الشرق الأوسط من الباب اللبناني

اظهر الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون فارقا ملحوظا في ادائه ودوره في الشرق الاوسط. عوامل عدة ساهمت في ان يلعب دورا رئيسيا في المنطقة، لعل اولها ان فرنسا هي الدولة الاوروبية الوحيدة التي لا تغرق حاليا في مشكلات داخلية، القادرة على القيام بمبادرات، فيما تقبع بريطانيا في ازمة "البريكزيت"، والمانيا في ازمة سياسية

لم يكن دور الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون في هذه المرحلة وليد الصدفة. بل جاء بسبب وجود مقربين منه يعرفون شؤون الشرق الاوسط جيدا. يضم فريقه الخاص سفيرين سابقين في بيروت هما ايمانويل بون وستيفان باولي، اضافة الى اورليان لوشوفالييه الذي عاش في لبنان، كما نسج وزير الخارجية جان ايف لودريان علاقات قوية مع زعماء المنطقة، وتحديدا في السعودية والامارات، اذ كان وزيرا للدفاع في عهد الرئيس السابق فرنسوا هولاند.

العودة القوية لفرنسا حصلت من البوابة اللبنانية، عندما اقتحم ماكرون المشهد ودخل بقوة على خط ازمة استقالة الرئيس سعد الحريري من الرياض التي تطورت سريعا الى ازمة علاقة بين لبنان والسعودية. يتفق الجميع على ان ماكرون كان له الدور و"الفضل" الاساسي في اخراج الحريري من السعودية، وفي رد الاعتبار اليه واعادته الى بيروت للاستمرار في رئاسة الحكومة. هذا الدور قام به ماكرون بالتعاون والتنسيق مع الرئيس ميشال عون، وبعدما اقتنع بناء على تأكيدات لبنانية وعلى تقرير السفير الفرنسي في الرياض ان الحريري موجود في الاقامة الجبرية.

بدا جليا ان ماكرون الذي سعى الى انقاذ الحريري من دون ادانة الرياض، مع افساح المجال لها لانقاذ ماء الوجه، رد الاعتبار ايضا الى مكانة لبنان على لائحة الاولويات الفرنسية الخارجية، واعلن التزامه استقراره وتحييده عن نزاعات المنطقة وعدم تعريضه لخطر انفجار داخلي. كذلك التزام توفير الدعم الاقتصادي للبنان من خلال مؤتمر باريس 4 والدعم العسكري للجيش اللبناني من خلال مساعدات مباشرة ودعم مؤتمر روما الخاص بدعم الجيش والقوى الامنية اللبنانية. هذا الالتزام يشكل احد الحوافز الدافعة للرئيس الفرنسي الى القيام بدور وساطة بين السعودية

لماكرون "الفضل" الاساسي في اخراج الحريري من السعودية، ورد الاعتبار اليه.

وايران للتخفيف من التوتر، ونقل العلاقة بينهما من المواجهة الى الحوار. هذا الامر له تأثير ايجابي ومؤكد على الوضع في لبنان، الذي يعد واحدا من العوامل التي تدفع ماكرون الى التقريب بين السعودية وايران، والقيام بزيارة قريبة الى طهران ستكون الاولى لرئيس فرنسي منذ قيام الجمهورية الاسلامية في ايران. لكن لبنان ليس الاهم. هناك العلاقات والمصالح الاقتصادية والمالية لفرنسا مع كل من ايران والسعودية، وهناك الحاجة الى استعادة دور فرنسي شرق اوسطي مفقود على الساحات العراقية والسورية والفلسطينية.

بعد الدور الذي اضطلع به ماكرون في انهاء ازمة استقالة الحريري، وبعد قيادته المعسكر الاوروبي الرافض لقرار الرئيس الاميركي دونالد ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لاسرائيل، تفرد في تسويق موقف فرنسي جديد في الازمة السورية، مفتتحا مرحلة التكيف الاوروبي مع فكرة بقاء الرئيس بشار الاسد. في اوضح موقف فرنسي منذ اندلاع الحرب السورية، معاكس لسياسة الرئيسين السابقين نيكولا ساركوزي وفرنسوا هولاند ومواقفهما، سلم ماكرون بوجوب التحدث الى الرئيس السوري، وانه لا يمانع في ذلك.

مرة جديدة يغلب الرئيس الفرنسي مبدأ "الواقعية السياسية" في قراءته للعلاقات الدولية، وللدور الذي يمكن ان تلعبه باريس في اطارها. برز تمسك ماكرون بـ"البراغماتية" كنهج سياسي في تناوله الحرب في سوريا التي توصل اليها من قراءته لمسار الحرب، بحيث يعتبر ان روسيا وايران هما من ربح الحرب. بالتالي، فان الاسد، الذي وصفه بـ"المحمي" منهما، ما زال موجودا في موقعه. وانطلاقا من مبدأ التعامل مع ما هو موجود، يرى ماكرون انه يتعين التعامل مع الاسد. لكن باريس تتبنى الرؤية الاميركية التي تقول ان الحرب لم تنته، وبعكس ما يؤكده الطرف الروسي، ولا تريد ان تستعجل واشنطن الانسحاب، وترى ان البقاء الاميركي في سوريا يمكن ان يكون وسيلة للتأكد من التوصل الى الحل السياسي المنشود، وحيث ان باريس لم تتخل نهائيا عن مبادرتها القائمة على "مجموعة الاتصال" المشكلة من الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن.

مع ماكرون تبدو باريس مهيأة لدور رئيسي في المنطقة في ظل انكفاء اميركي وتقدم روسي. في ظل انشغال الزعماء الاوروبيين بازمات داخلية، يتزعم الجهد الاوروبي لايجاد مخرج من المأزق الحالي والسماح بعودة المحادثات الاسرائيلية ـ

> **لبنان من العوامل التي تدفع باريس الى التقريب بين طهران والرياض**

فتح الرئيس الفرنسي مرحلة التكيف الاوروبي مع فكرة بقاء الرئيس السوري.

الفلسطينية، مقترحا بدء تجميد الاستيطان واتخاذ اجراءات ثقة حيال السلطة الفسطينية. في موضوع القدس تحديدا، بدا صوت ماكرون هو الاعلى في اوروبا، وربما استفاد من الغضب الكبير الذي اثاره قرار ترامب والاستياء الشعبي في المنطقة من قرارات سابقة اتخذها الرئيس الاميركي واعتبرت معادية للمسلمين، للاضطلاع بدور قيادي. قبل القدس وبعدها، يجهد الرئيس الفرنسي في انعاش الاتفاق النووي الايراني، اضافة الى احتمال التوسط في النزاع بين ايران ودول الخليج.

من المعلوم ان في فرنسا مجموعة ضغط سياسية - اقتصادية تدفع في اتجاه التقارب مع ايران بسبب الفرص الكبرى التي يوفرها اقتصادها وحاجاته الكبرى. لكن المشكلة الاساسية لفرنسا هي رغبتها في التوفيق بين مواقفها السياسية المتشددة بازاء ايران وبين سعيها الى تعزيز حضورها الاقتصادي والتجاري في هذا البلد، شرط الحرص على عدم اغضاب واشنطن وادارة ترمب تحديدا.

تقول المصادر الفرنسية ان من المهم ان تفهم ايران ان مصلحتها تكمن في تغيير سياساتها التي تبدو في بعض جوانبها استفزازية. ووفق تحليلها، فان التهديدات الاميركية بالخروج من الاتفاق النووي وترك الابواب اميركيا مفتوحة امام كل الخيارات يتعين ان تدفع السلطات الايرانية الى التفاهم مع فرنسا واوروبا بشكل عام، وبالتالي ان تستجيب مطالبها الخاصة بالسياسات الاقليمية والصواريخ الباليستية. فاذا كانت الولايات المتحدة واسرائيل تدعوان المجتمع الدولي الى محاسبة ايران على ملفي برنامج الصواريخ الباليستية والهيمنة الايرانية في الشرق الاوسط، فان ماكرون يغرد خارج سرب دول الاتحاد الاوروبي حين يعلن وجوب مفاوضة الايرانيين على هذين الملفين. لن يغامر في المنطقة، ولكنه يملأ فراغا خلفه الاميركيون، فتؤدي باريس دور القوة الوسيطة او الملجأ والفيصل في الحرب الباردة بين المحورين السني والشيعي في المنطقة.

تبقى باريس حائرة الى حد ما بين مقاربتها السياسية والاستراتيجية من جهة وبين مصالحها الاقتصادية والتجارية من جهة اخرى، وضائعة بين صداقتها لواشنطن وحرصها على ان تكون قريبة منها وبين رغبتها في ان تبقى طليقة اليدين. لذا، ستستمر في التأرجح بين هذه المواقف حتى العثور على نقطة التوازن بين هذه المتناقضات.

لم تعد تخفي قلقها من تبعات البرامج الصاروخية والباليستية الايرانية ومن السياسات الاقليمية لطهران التي ترى فيها تهديدا لامن الخليج واستقرار المنطقة. وثمة لهجة فرنسية جديدة في مخاطبة طهران ونمط جديد في مقاربة الملفات الاقليمية التي لايران صلة او تدخل فيها. فقد تخلت باريس عن لغة التلميح والايحاء في الملفات والسياسات المقلقة، وقررت اللجوء الى الاسلوب المباشر في حديثها عن التهديدات الايرانية. وقد حصل ذلك بعد التقرير الذي اعدته الامم المتحدة الذي يندد بتحركات المسؤول عن العمليات الخارجية في الحرس الثوري الايراني التي قام بها في الفترة الاخيرة في سوريا والعراق، وكذلك التقرير عن المصدر الايراني لصواريخ اطلقها الحوثيون على الاراضي السعودية، وبعد تصريحات لكبار المسؤولين الايرانيين عن تمسك ايران وتحكمها بالقرار السياسي في اربع عواصم عربية، وعن ممر متواصل من طهران الى المتوسط مرورا ببغداد ودمشق، وصولا الى بيروت.

هذا التوتر الايراني ـ الفرنسي بسبب رفض باريس سياسات طهران وطموحاتها في المنطقة، انعكس على لبنان حيث لايران نفوذ قوي ولفرنسا وجود تاريخي وقاعدة ارتكاز. يطمح الرئيس الفرنسي الى استثمار دوره في لبنان كمنصة لعودة باريس الى المنطقة، وذلك على نحو يحاكي استراتيجيا الرئيس الروسي نفسها، الذي يستثمر بدوره سوريا كمنصة لاعادة روسيا الى المنطقة.

وفي اطار الاهتمام الاوروبي بالملف اللبناني، يبرز دور فرنسا كمرجعية مدعومة اميركيا واقليميا لرعاية استكمال حل المشكلات ذات البعد الاقليمي، وايضا لاعادة لبنان الى خارطة الدول المانحة لاقتصاده. لكن باريس تعرف ان هوامش نفوذها في لبنان ليست كبيرة، وانها لا تستطيع تجاهل وقائع موجودة في المنطقة التي تطمح الى العودة اليها، وهي وقائع لديها امتداداتها انطلاقا من لبنان حتى العراق، وبالعكس.